أدب النفوس

تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرّى .

رواية أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل عنه

رواية أبي الحسن على بن محمد العلاف المقرى عنه .

رواية الشيخ الأجل الثقة أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه .

رواية الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي عنه .

تحقيـق

أبي موسى عبد العزيز بن محمد المكي

عفـا الله عنـه

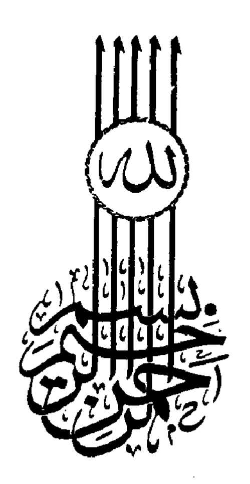


دمنهور ت - ٠٤٥/٣٣٨١٩٩

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



دمنهور ت - ٠٤٥/٣٢٨١٩٩



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

ـ أما بعد ـ

فهذا كتاب أدب النفوس تصنيف الإمام الحافظ أبى بكر الآجرّى رحمه الله ، وهو كتاب مهم ، وترجع أهميته إلى عِظَم شأن النفس فى حياة المسلمين ووجوب البداية بها فى الإصلاح ، فهذا عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول : « إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره ، فينبغى لنا أن نكرهها » . فكيف يكون حالنا وقد تأخر الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول الحسن البصرى رحمه الله : « إن كان الرجل ليخرجِ فى أدب نفسه السنتين ثم السنتين » . ويقول ابن سيرين رحمه الله : « كانوا يتعلمون الهَدْى (السيرة والهيئة والطريقة) كما يتعلمون العلم » .

وترجع أهميته أيضا إلى منزلة المصنِّف وكونه من حفاظ المحدِّثين وصاحب سنَّة واتباع فيأتى مصنَّفه ـ بحمد الله ـ خالياً من شطحاتٍ وقعت لكثير ممن كتب فى هذا الباب على غير هَدْى السلف الصالح رضى الله عنهم . فقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله : « إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر وعليه تُعْرَضُ الأشياء ـ على خلقه وسيرته وهَدْيه ـ فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل » .

واعتمدت فى عملى على نسخه وحيدة للكتاب موجودة بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة مصوَّرة عن النسخة الموجودة بالظاهرية تحت رقم ٢٤٨ (ق ٢٣ ـ ٢٩) كما فى فهرست الألبانى حفظه الله ، وهى ناقصة من آخرها ، وقد روى ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » بسنده عن الآجرّى عدة آثار ، هى عندنا فيما وجدناه من هذا الكتاب ، وآثار أخرى ألحقتها فى ذيل الكتاب .

وقد ترجمت للمصنف ترجمة مختصرة تناسب حجم الكتاب ، وجعلت فى آخر

الكتاب فهارس للآيات والآثار والموضوعات وضمنت الحاشية ما ظننت أنه مناسب لها فإن أحسنت وأصبت فمن الله وله الحمد ، وإن أسأت وأخطأت فمِنْ نفسي وأستغفر الله .

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وكتب

أبو موسى عبد العزيز بن محمد المكي

ترجمة المصنِّف

الاسم : محمد بن الحسين بن عبد الله .

الكنية : أبو بكر .

اللقب : الآجرِّى : بفتح الهمزة الممدودة وتشديد الراء ، وهذه النسبة إلى الآجر . وقيل : ينسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها : آجر .

المولد : سنة ثمانين وميئتين تقريبا ، لقول الذهبى (كان من أبناء الثمانين حين وفاته) ، وقيل : سنة أربع وستين وميئتين لقول الفاسى فى العقد الثمين : أنه كان ابن ستة وتسعين حين وفاته .

الشيوخ : كثيرون منهم أبو مسلم الكجى ، جعفر بن محمد الفريابى ، يحيى بن محمد ابن صاعد ، محمد بن يحيى المروزى ، أبو القاسم البغوى ، أحمد بن عمر بن زنجويه ، أبو شعيب الحرانى ، عبد الله بن صالح بن الضحاك .

التلاميذ : أبو نعيم الأصبهانى ، أبو الحسن الحمَّامى ، عبد الرحمن بن عُمر بن النَّحاس ، أبو الحسين وأبو القاسم ابنا بشران ، على بن أحمد بن عمر المقرئ .. وغيرهم .

العلم : قال الخطيب : كان ثقة صدوقاً ديِّناً له تصانيف .

قال الذهبى : الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف .

وقال أيضا : كان عالمًا عاملاً صاحب سنة واتباع .

وعدَّه ابن الأثير من حفاظ المحدثين .

العقيدة : عقيدته عقيدة السلف الصالح رضى الله عنهم ، ويكفى أنه صاحب كتاب « الشريعة » .

التصنيف : مصنفاته كثيرة ، المنشور منها : الشريعة ، أخلاق حملة القرآن ، أخلاق العلماء ، الأربعون ، الثمانون ، فرض طلب العلم ، تحريم النرد والشطرنج والملاهى ، الغرباء ، الرؤية ، أخبار عمر بن عبد العزيز ـ تحريم اللواط والزنا .

الوفاة : الجمعة أول يوم من المحرم سنة ستين وثلاثمائة بمكة ودفن بها .

التراجم : سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٣٣) .

تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٣٦) .

البداية والنهاية (١٤ / ٢٧٠) .

صفة الصفوة (٢ / ٤٧٠) .

الأنساب (١ / ٦٨) .

تاريخ بغداد (٢ / ٢٤٣) .

وغيرها ...

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الحذر من النفس

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّى : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والحمد لله على كل حال ، وصلى الله على محمد النبى وعلى آله أجمعين ، وبالله أستعين .

أما بعد ..

وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل ، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه سميع قريب .

اعلم أن الله جل ذكره ذكر النفس فى غير موضع من كتابه بمعانى كثيرة كلها تدل على الحذر من النفس .

أخبرنا مولانا الكريم أنها تميل إلى ما تهواه مما لها فيه اللذة وقد علمت أنها قد نهيت عنه .

ثم أعلمنا مولانا الكريم أنه من نهى نفسه عما نهوا فإن الجنة مأواه ، قال الله تبارك وتعالى : **﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الإنسان ما سعى . وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى ﴾** [1] .

---

(١) سورة النازعات الآيات (٣٤ : ٤١) ،

فى معنى نهى النفس عن الهوى قال بعض السلف : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب إلى هواك فاجتنبه ، وقال آخر : الورع إذا رابك شئ فدعه ، وفيه حديث رسول الله ﷺ « البر ما سكنت إليه النفس .... » الحديث .

وأخرج ابن جرير (٢٥ / ١٥٠) من كتابه قال : حدثنى على قال : ثنا أبو صالح قال : ثنا معاوية عن علي بن أبى طلحة فى قوله : **﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾** قال : ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان =

فإن كان الله تعالى قد نهى عنه انزجر عنه ، فإن تابعته نفسه إلى ما زجرها عنه فليعلم أنه من الله عز وجل ببالٍ ، وأن هذه نفس مرحومة ، فليشكر الله الكريم على ذلك ، ألم تسمعوا رحمكم الله إلى ما أخبركم مولاكم الكريم عن نبى من أنبيائه وهو يوسف عليه السلام قوله : ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم** ﴾ [(١)] فيقال : إن النفس الأمارة ، المرحومة هى المعصومة التى عصمها الله عز

= وقال : حدثنا عبد الأعلى قال : ثنا ثور عن ابن معمر عن قتادة فى قوله ﴿ **أفرأيت الذى اتخذ إلهه هواه** ﴾ قال : لا يهوى شيئا إلا ركبه لا يخاف الله . ا . هـ .

وقال ابن الجوزى فى كتابه ذم الهوى (ص ١٢) : وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ما ذكر الله عز وجل الهوى فى موضع من كتابه إلا ذمه ، وقال الشعبى : إنما سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار .

(١) سورة الكهف الآية (٥٣) .

نسبه المصنف التبرؤ هذا إلى يوسف صلى الله على نبينا وعليه وسلم ـ غريب جداً ، وفى حاشية النسخة عند هذا الموضع : (الصواب أن هذا من كلام العزيز) . وأيضا هذا غريب جداً .

والصحيح أنه من كلام امرأة العزيز .

وقد جعل الطبرى (٧ / ٢٣٨) ذلك الكلام والذى قبله من كلام يوسف ، وقال : (٨ / ١) : يقول يوسف صلوات الله عليه ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ يقول : إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها فى غير ما فيه رضى الله ﴿ **إلا ما رحم ربى** ﴾ يقول : إلا من يرحم ربى من يشاء من خلقه فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء ﴿ **إن ربى غفور رحيم** ﴾ .

ـ فجعله الطبرى قولاً واحدًا ولم يحك قولاً غيره .

ـ قال القرطبى (٥ / ٢٠٩) : إذا احتمل أن يكون من قول المرأة ، فالقول به أَوْلى ، حتى نبرئ يوسف من حل الإزار والسراويل .

ـ وقال ابن تيمية فى التفسير الكبير (٥ / ٧٧) : وأما ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة ، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده وأمثال ذلك ، فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله ، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء ، وقدحاً فيهم ، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله ، ولم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفا واحدا ، وقوله ﴿ **وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى** ﴾ فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن .... ـ إلى أن قال ـ : وقد قال كثير من المفسرين إن هذا كلام يوسف ، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول ، وهو فى غاية الفساد ، ولا دليل عليه ، بل الأدلة على نقيضه . ا . هـ .

ـ وقال ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٣٢) : ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ تقول المرأة : ولست أبرئ نفسى فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء ﴿ **إلا ما رحم ربى** ﴾ أى إلا من عصم ربى ﴿ **إن ربى غفور رحيم** ﴾ ، وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعانى الكلام . ا . هـ .

قلت : يعنى بسياق القصة : أن القول السابق له هو قول المرأة فى مجلس لم يحضره يوسف .

ـ وقال ابن المنيِّر فى حاشيته على كشاف الزمخشرى المعتزلى (٢ / ٢٦١) : الصحيح من مذاهب أهل السنة =

يريد قتله أو أخذ ماله أو انتهاك عِرْضه .

فإن قال قائلٌ : لِمَ أَلْزَمْتَنى هـذا الحذر من النفس ، حتى جعلتـهَ أشدَّ حالاً من عدوٍ قد تبينت عداوته ؟

قيل له : إن عدوك الذى يريد قتلك أو أخذ مالك أوانتهاك عِرْضـك ، إن ظفـر منك بما يؤمله منك فإن الله عز وجل يكـفِّر عنك به السيئات ، ويرفع لك به الـدرجات ، وليس النفس كذلـك ، لأن النفس إن ظفرتْ منك بما تهـوى مما قد نهيت عنه ، كان فيـه هلكتك فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا : فالفضيحة ، مع شدة العقوبة .

وسوء المنزلة عند الله عز وجل مع سوء المنقلب فى الآخرة .

فالعاقل يرحمكم الله يلزم نفسه الحذر والجهاد لهـا أشد من مجاهدة ..... ممـن يريد ماله ونفسه ، فجاهدها عند الـرضـا والغضب ، وكذا أدَّبنا نبينا ﷺ فى غير حديث بقوله ﷺ : المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل :

١ ــ أخبرنا محمد قال : ثنا أبـو بكر جعفر بن محمد الفريابى قـال : ثنا المسيِّب بن واضح قال : ثنـا ابن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيْح عـن أبى هانئ الخَوْلانى عن عَمْرو بـن مالك عن فَضَالة بن عُبيد قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المجاهد من جـاهد نفسه فى الله عز وجل » (١) .

٢ ــ أخبرنا محمـد بن الحسين حدثنا أبو محمـد يحيى بن محمد بن صاعـد ثنا الحسين بن الحسن المروزى أنبأ ابن المبارك ثنا الليث بن سعد حدثنى أبو هانئ الخولانى عن عمرو ابن مالك الجنبى حدثنى فضالة بن عبيد قال : قال رسـول الله ﷺ فى حجـة الـوداع : « ألا أخبرك بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ،

---

(١) رواه ابن الجوزى فى كتاب ذم الهوى (ص ٣٩) من طريق المصنف به .

ــ ورواه المصنف من طريق عبد الله بن المبارك ــ وهو فى كتاب الزهد له برواية نعيم ابن حماد عنه (١٤١) قال : أنا حيوة بن شريح قال : أنا أبو هانئ الخولانى أنه سمع عمرو بن مالك الجنبى يقول : سمعت فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المجاهد من جاهد نفسه » .

ــ ورواه الترمذى (١٦٢٠ كتاب فضائل القرآن ٢٣ ، باب ما جاء فى فضل من مات مرابطا ٢) عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك به .

ــ ورواه ابن أبى الدنيا (٦٤) فى محاسبة النفس ، باب المجاهد من جاهد نفسه .

قال : حدثنى يعقوب بن إسماعيل أنا حبَّان بن موسى أنا عبد الله به .

الأحوص عن سعيد بن مسروق عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشديد ليس الذي يغلب الناس ، ولكن الشديد من غلب نفسه » (١) .

فإن قال قائل : وعلى ما أجاهد نفسي حتى أغلبها ؟

قيل له : تجاهدها حتى تلزمها أداء فرائض الله عز وجل ، وتنتهي عن معاصيه .

فإن قال : صِفْ لي من أخلاقها التي تميل إليه مما لا يَحْسُن حتى أحذرها وأمقتها وأجاهدها إذا علمت أن فيها شيئا من تلك الخصال .

قيل له : إن النفس أهْلٌ أن تُمْقَتَ في الله عز وجل ، ومن مَقَت نفسه في ذات الله عز وجل رجوتُ أن يُؤَمّنه الله عز وجل من مقته ، كذا رُوي عن الفضيل بن عياض :

٦ ـ أخبرنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن عفير الأنصاري ثنا عبد الصمد بن محمد العباداني ثنا عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل بن عياض : يقول (من مقت نفسه في ذات الله عز وجل أمَّنه الله عز وجل من مقته) (٢) .

ـ قال أبوبكر : فإن قال قائل : فبيِّن لي أخلاقها القبيحة .

قيل له : هي الأخلاق التي قد استوطنتها النفس ، وليس تحب مفارقتها ، وهي أخلاق كثيرة إذا تصفح الإنسان نفسه وجدها كذلك :

فإنها نفس متبعة للهوى

منهمكة في لذة الدنيا

باسطة لطول أمل عن قليل ينقضا

قليلة الاكتراث لأجلٍ لابد أن يغشى

---

(١) رواه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص ٣٩) من طريق : إسماعيل بن إسحاق القاضي عن مسدد ـ ح ـ ومن طريق : المخلص عن البغوي عن ابن صاعد عن لُوَيْن ، كلاهما عن أبي الأحوص به .

ـ ورواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص ٦١) باب ليس الشديدُ الذي يغلب الناس قال : حدثنا محمد بن سليمان الأسدي ثنا أبو الأحوص به .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ١٠٣) قال : حدثنا محمد بن علي ثنا أحمد بن علي ثنا عبد الصمد بن يزيد به .

ـ وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص ٤٦) حدثنا الحسن بن حماد الكوفي الضبي ثنا إبراهيم بن عيينة الكوفي سمعت أبا الهياج يذكر عن أبي نصير مولى لأبي بكر قال : قال أبو بكر الصدِّيق : (من مقت نفسه في ذات الله أمَّنه الله من مقته) .

راغبة فى حب دنيا إذا أحبها قلب عبدٍ قسا

زاهدة فى دار نعيمها لا يفنى

محبة لأخلاق تعلم أنها مضرَّة بها غدا

ضاحكة مستبشرة ناعمة بما عنه مولاها نهى

نفس تحزن على ما لم يَجْرِ لها به المقدور مما أمَّلَتْه من الدنيا صباحها والمسا

نفس يَخِفُّ عليها السعى والكد فى طلب الدنيا

نفس تَلَذُّ بالفتور عن الخير الذى إليه مولاها دعا

نفس تهم بالنفقة فى طاعة الله فيوعدها الشيطان الفقر فتميل إلى ما إليه دعا

نفس وعدها الله المغفرة والفضل فلم تثق ولم ترض .

نفس تثق بوعد مخلوقٍ وعند وعيد مولاها تتلكا .

نفس ترضى المخلوقين بسخط ربها وعن رضا مولاها تتوانى .

نفس ندبها الله إلى الصبر عند المصائب تعزيةً منه لها فلا تقبل العزا

نفس تتصنَّعُ للمخلوقين بوفاء الوعد وفيما عهد الله الكريم إليها قليلة الوفا

نفس تترك المعاصى بعد القدرة عليها حياءً من المخلوقين وعند نظر الله العظيم إليها قليلة الحيا.

نفس قليلة الشكر لله الكريم على نعمٍ لا تحصى .

نفس تستعين بنعم الله الكريم على معاصيه فى صباحها والمسا .

نفس يَخِفُّ عليها مجالسة البطَّالين ويثقل عليها مجالسة العلما .

نفس تطيع الغاشَّ وتعصى أنصح النصحا .

نفس تسارع فيما تهوى وهى تتعلل بالتسويف [1] للتوبة اليوم وغدا .

---

(١) التسويف : المطل ، قال سيبويه : (سوف) كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ، ألم تر أنك تقول سَوَّفته إذا قلتَ له مرة بعد مرة : سوف أفعل .(الصحاح ٤ / ١٣٧٨) .

شـــروط التوبـــة

قال أبو بكر محمد بن الحسين : من عـرف من نفسه هذه الأخلاق ، وغيرها ، سارع إلى رياضتـها ، بحسن الأدب لها ، ليـردَّها إلى ما هو أولى بهـا من تقوى الله عز وجل في السر والعلانية ، بالندم الشديد والنزوع [1] من قبيح ما صح عنده من هذه الأخلاق أن فيه شيء منها ، وإصلاح ما يستأنفه [2] في طول عمره ، والله عز وجل الموفِّق لذلك .

---

(١) نزع عن الأمر نزوعا : انتهى عنه . (الصحاح ٣ / ١٢٨٩) .

(٢) أنف كل شئ : أوله ، الاستئناف : الابتداء (الصحاح ٤ / ١٣٣٣) .

ذكر أدب النفوس

قال أبو بكر :

فإن قال قائل : ما دل على تأديب النفس ؟

قيل له : القرآن والسنة وقول علماء المسلمين .

فإن قال : فاذكره ؟

قيل : نعم إن شاء الله .

ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ (١)
قلتُ : فمن سمع هذا وجب عليه أن يطلب علم هذا ، ولا يَغْفُل عنه .

فإن قال : فاذكر ما يقى الإنسانُ به نَفْسَه وأَهْلَهَ من النار ؟

قيل : نعم :

٧ ـ أخبرنا أبو بكر ثنا أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم عن أبيه عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس فى قول الله تبارك وتعالى : (﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾) (٢) قال : (يكون الرجل المسلم فى أهل البيت فيعمل بالأعمال الصالحة يصلى فيصلون ويصوم فيصومون ويتصدق فيتصدقون فذلك قوله عز وجل ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ .

٨ ـ أخبرنا أبو بكر وثنا ابن أبى داود ثنا يعقوب بن سفيان ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ثنا

---

(١) سورة التحريم الآية (٦) .

(٢) ضعيف جدا . نهشل هو ابن سعيد ، متروك كذَّبه ابن راهويه ، وقال الحاكم : روى عن الضحاك المُعْضِلات . وروى عامر بن إبراهيم عن أبى داود الطيالسى قال : نهشل كذاب . والضحاك هو ابن مزاحم ، عن ابن عباس منقطع ، أنكر شعبة أن يكون لقيه ، وروى شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : قلت للضحاك : سمعتَ من ابن عباس ؟ قال : لا . قلتُ : فالذى تروى عنه عن من أخذتَ ؟ قال : عنكَ وعن ذا وذا .

وقال أبو زرعة : لم يسمع من ابن عباس . وانظر الجرح والتعديل (٤ / ٤٦٠ ، ٨ / ٤٩٦) تهذيب التهذيب (٤ / ٤٤٦) التقريب (١ / ٣٧٣ ز ٢ / ٣٠٧) .

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ يقول : (اعملوا بطاعة الله عز وجل واتقوا معاصي الله عز وجل ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم من النار)[1] .

٩ ـ أخبرنا أبو بكر وثنا ابن أبي داود ثنا حم بن نوح ثنا أبو معاذ ثنا أبو مصلح عن الضحاك في قول الله عز وجل ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ يقول : اعملوا بطاعتي وتعلموا وعلموا أهليكم ما افترضت عليكم وعليهم[2] .

١٠ ـ أخبرنا أبو بكر وثنا ابن أبي داود ثنا الحسين بن علي بن مهران ثنا عامر بن الفرات عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : أدِّبوا أنفسكم وأهليكم على أمر الله عز وجل[3] .

١١ ـ أخبرنا أبو بكر وثنا ابن أبي داود ثنا يعقوب بن سفيان عن يحيى بن أبي بكير حدثني ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ يعني الأدب الصالح[4] .

١٢ ـ أخبرنا أبو بكر وثنا ابن أبي داود ثنا هارون بن إسحاق الهمداني ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن بعض أصحابه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله جل وعز : ﴿ **يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : علِّموهم

---

(١) قال ابن جرير (١٤ / ١٦٦) : حدثني علي قال : ثنا أبو صالح به .
ـ وعلقه ابن كثير (٨ / ١٩٤) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .
ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٢٢٥) إلى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس .
ـ ونسخة علي بن أبي طلحة في التفسير مشهورة مذكورة عند الأئمة .

(٢) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢ / ٣١٩) : حم بن نوح روى عن أبي معاذ خالد بن سليمان الحراني عن أبي مصلح عن الضحاك تفسير القرآن .
وأبو مصلح هو نصر بن فارس ، لين الحديث .
وقال السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٢٢٥) : أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن الضحاك قوله ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : وأهليكم فليقوا أنفسهم .

(٣) الربيع تابعي يروي عن أنس والحسن وأبي العالية ، لقي ابن عامر وجابر وعبد الله وقال ابن حبان في الثقات : الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر الرازي عنه .. تهذيب المزي (٩ / ٦٠) .

(٤) عطاء عن سعيد صحيفة ، قاله أبو حاتم وغيره ، وهي صحيفة التفسير كتبها سعيد بن جبير فوجدها عطاء في الديوان . قال عنه أبو حاتم : صالح الحديث ، ووثقه أحمد بن صالح .

أدِّبوهم (١) .

قال أبو بكر : ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم يحثكم على تأديب نفوسكم وأهليكم ؟ !! فاعقلوا رحمكم الله عن الله عز وجل ، وألْزِموا أنفسكم عِلْم ذلك .

ـ ثم اعلموا رحمكم الله أنه يلزمكم علم حالين (٢) لابد منه :

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٤ / ١٦٥) حدثنا بشار قال : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا سفيان به ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران عن سفيان به ، حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال : ثنا سعيد بن خثيم عن محمد بن خالد الضبى عن الحكم عن على بمثله .

ـ وذكره ابن كثير (٨ / ١٩٤) .

ـ وقال السيوطى فى الدر (٨ / ٢٢٥) : أخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى المدخل عن على فى قوله : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم .

وفى تفسير الآية أيضا :

ـ ما ذكره ابن جرير (١٤ / ١٦٦) : حدثنى محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ـ ح ـ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء .. جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ قال : يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت الله معصية أبعدتهم عنها وزجرتهم عنها .

ـ حدثنا عبد الأعلى قال : ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة فى قوله : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ قال : مروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله .

ـ وقال السيوطى فى الدر (٨/ ٢٢٥) : وأخرج ابن مردويه .

قال : تلا رسول الله هذه الآية ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ فقالوا : يا رسول الله كيف نقى أهلنا نارا ؟ قال : « تأمرونهم بما يحبه الله ، وتنهوهم عما يكره الله » . ا . هـ .

ـ وذكر ابن كثير (٨ / ١٩٤) تفسير مجاهد وقتادة السابقَيْن عند الطبرى .

ـ ورُوى عن الضحاك ومقاتل : حَقٌّ على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه .

وقال : وفى معنى الآية الحديث الذى رواه الإمام أحمد (٣ / ٤٠٤) وأبو داود (٢ / ٤٤٥) واللفظ له والترمذى (٢ / ٢٥٩) من حديث عبد الملك بن الربيع بن سَبْرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » .

ـ ورواه أبو داود (٢ / ٤٤٦) من حديث عَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، مثل ذلك .

ـ قال الفقهاء : وهكذا فى الصوم ليكون تمريناً له على العبادة ، لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر . ا . هـ .

(٢) قال المصنف فى كتابه « أخلاق العلماء » (ص ١٠٩) : فمن صفته لإرادته في طلب العلم أن يعلم أن الله عز =

علـم معرفة الـنفس وقبـح ما تدعـوكم إليه ممـا تهواه وتَلَذُّه مضـمرة [1] لذلك وقـائلة وفاعلة ، فواجبٌ عليكم أن تزجروها عنه حتى لا تبلُغوها ذلك .

والحال الثانى : علم كيف السياسة لها ؟ وكيف تُرَاضُ ؟ وكيف تؤدَّب ؟ .

فهذان الحالان لابد لكل مسلم عاقل أن يطلب علمه حتى يعرف نفسه ويعرف كيف يؤدبها .

= وجل فرض عليه عبادته ، والعبادة لا تكون إلا بعلم ، وعلم أن العلم فريضة عليه وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل ، فطلب العلم لينفى عن نفسه الجهل ، وليعبد الله عز وجل كما أمره ، ليس كما تهوى نفسه ، فكان هذا مراده فى السعى فى طلب العلم ، معتقداً الإخلاص فى سعيه ، لا يرى لنفسه الفضل فى سعيه بل يرى لله عز وجل الفضل عليه إذ وَفَّقه لطلب علم ما يعبده به من أداء الفرائض واجتناب النواهى .

ـ وقال رحمه الله فى (ص ١١١) : إن فاته سماع علم قد سمعه غيره فحزن على فَوْته لم يكن حزنه بغفلة حتى يوافق نفسه ويحاسبها على الحزن فيقول : لم حزنتِ ؟ احذرى يا نفس أن يكون الحزن عليك لا لك ، إذ سمعه غيرك ولم تسمعيه ، فكان أولى بك أن تحزنى على علم قد قرع السمع ، وقد ثبتت به الحجة فلم نعمل به فكان حزنك على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه ، ولعلك لو قُدِّر لك سماعه كانت الحجة عليك أوكد ، فاستغفر الله من حزنه ، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع .

ـ وقال رحمه فى (ص ١٣٧) بعد أن ساق قول أبى الدرداء قال : ويل للذى لا يعلم مرة ، وويل للذى يعلم سبع مرات . قال : من تدبر هذا أشفق من علمه أن يكون عليه لا له ، فإذا أشفق مقت نفسه .

(١) أى جاعلة ذلك فى الضمير المستور .

علم معرفة النفس

قلتُ : فأما معرفة النفس وقبيح ما تدعو إليه ، فقد تقدم ذكرى له ، وأنا أزيدك في فضحها :

هى جامعة لكل بلاء .

وخزانة إبليس وإليها يأوى ويطمئن

تُظْهِرُ لك الزهد وهى راغبة .

وتُظْهِرُ لك الخوف وهى آمنة .

تفرح بحسن ثناء من جهلها بباطل فتحمده وتُدْنِيه .

ويثقل عليها من ذَمَّها بحقٍ نصحاً منه لها فتبغضه وتُقْصِيه .

وأنا أُمَثِّل لك مثالاً لا يخفى عليك أمرها إن شاء الله :

اعلم أن النفس مثلها كمثل المُهْر الحسن من الخيل ، إذا نظر إليه الناظر أعجبه حُسْنه وبهاؤه ، فيقول أهل البصيرة به : لا ينتفع بهذا حتى يراض رياضة حسنة ويؤدَّب أدباً حسناً ، فحينئذ ينتفع به ، فيصلح للطلب والهرب ، ويحمد راكبه عواقب تأديبه ورياضته .

فإن لم يؤدَّبْ لم ينتفع بحسنه ولا ببهائه ، ولا يحمد راكبه عواقبه عند الحاجة .

فإن قبل صاحب هذا المُهْرِ قول أهل النصيحة والبصيرة به ، علم أن هذا قول صحيح فدفعه إلى رائضٍ فراضه .

ثم لا يصلح أن يكون الرائض إلا عالماً بالرياضة ، معه صبر على ما معه من علم الرياضة ، فإن كان معه علم بالرياضة ونصحه انتفع به صاحبه ، فإن كان الرائض لا معرفة معه بالرياضة ولا علم بأدب الخيل ، أفسد هذا المُهْرَ وأتعب نفسه ولم يحمد راكبه عواقبه ، وإن كان الرائض معه معرفة بالرياضة والأدب للخيل إلا أنه مع معرفته لم يصبر على مشقة الرياضة ، وأحب الترفيه لنفسه ، وتوانى عما وجب عليه من النصحية فى الرياضة ، أفسد

هذا المُهْر ، وأساء إليه ، ولم يصلح للطلب ولا للهرب ، وكان له منظر بلا مخبر ، فإن كان مالكه هو الرائض له ندم على توانيه يوم لا ينفعه الندم ، وحين نظر إلى غيره فى وقت الطلب ، قد طلب فأدرك ، وفى وقت الهرب قد هرب فسلم ، وطلب فهو لم يدرك ، وهرب فلم يسلم ، كل ذلك بتوانيه وقلة صبره بعد معرفته منه ، ثم أقبل على نفسه يلومها ويوبِّخها فيقول : لم فرطتِ ؟ لم قَصَّرْتِ ؟ لقد عاد عليَّ من قلة صبرى كل ما أكره . والله المستعان .

اعقلوا رحمكم الله عِلْم هذا المثل ، وتفقهوا به تفلحوا وتنجحوا .

وقد قلت فى هذا المثل أبياتاً تشبه هذا المثل :

أرى النفس تهوى ما تريدُ ... وفى متابعتى لها عَطَبٌ شديدُ
تقول وقد أَلَحَّتْ فى هواها ... مرادى كلما أهوى أريد
فأمنحها نصحى لكى تنزجر ... فتأبى وربِّى على ذلك شهيد
فإن أنا تابعتها نَدِمَتْ وخَفت ... العقوبة يوم الوعيد
فإن كنتَ للنفس ياذا مُحِبا ... فقيِّدْ ولو بقيد الحديد
ورضها رياضة مهر يراض ... بالسوط والسوط سوط جديد
يمنعه الرائض ما يشتهى ... يريد بالمنع صلاحاً وفهما يريد
يحمده الراكب يوم اللقى ... والخيل فى الحرب وجهد جهيد

ـ قال أبو بكر : وقد روى فى معنى ما قلتُ من هذا الأمثال آثاراً تدل على ما قلتُ فأنا أذكرها ليعتبرها من تدبرها .

١٣ ـ أخبرنا أبو بكر ثنا جعفر بن محمد الصيدلى قال : سمعت أبا الحسن محمد بن أبى الوَرْد يقول : قال وهْبُ بن مُنَبِّه : (النفس كنفوس الدواب ، والإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حَرُون [١] ، فإن فتر قائدها حرنت على سائقها ، وإن فتر سائقها ضلت على الطريق [٢] .

(١) فرس حرون : لا ينقاد ، وإذا اشتد به الجرى وقف .. الصحاح (٥ / ٢٠٩٧) .

(٢) روى ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (ص ٨٦) حدثنى إبراهيم بن سعيد حدثنى عبد الصمد بن النعمان ثنا هارون البربرى عن عبد الله بن عُبيد الله بن عُمر قال : الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون فإذا ونى قائدها

١٤ ــ أخبرنا أبو بكر ثنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد العَطَّار ثنا أبو الحسن على بن إبراهيم ابن عبد الحميد الواسطى قال : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو مقاتل ــ يعنى حفص ابن سَلْم ــ ثنا عون بن أبى شدَّاد عن الحسن فى وصية لقمان لابنه : (يا بنى لا تنتفع بالإيمان إلا بالعقل ، فإن الايمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون . فإن فتر قائدها ضلت عن الطريق فلم تستقم لصاحبها ، وإن فتر قائدها حرنت فلم ينتفع منها سائقها ، فإذا اجتمع ذلك استقامت طوعاً وكرهاً ولا يستقيم الدين إلا بالتطوع والكره ، إن كان الإنسان كلما كَرِه من الدين شيء تَرَكَه ، أوشك أن لا يبقى معه شيء من دين الله عز وجل ، فلا تقنع لنفسك بقليل من الإيمان ، ولا تقنع لها بضعيف من العمل ، ولا ترخِّصْ لها فى قليلٍ من معصية الله عز وجل ، ولا تَعِدْها بشىء من استحلال الحرام ، فإن النفس إذا أُطْمِعَتْ طمعت ، وإذا أيستها أَيِسَتْ ، وإذا أقنعتها قنعت ، إذا أرخيت لها طغت ، وإذا زجرتها انزجرت ، وإذا عزمت عليها أطاعت ، وإذا فوضت إليها أساءت ، وإذا حملتها على أمر الله صلحت ، وإذا تركت الأمر إليها فسدت . فاحذر نفسك واتهمها على دينك ، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها ولابد لك منها ، فإنه لا حاجة لك فى باطلها ، ولابد لك من تهمتها ، ولا تغفلها من الزجر فتفسد عليك ، ولا تأمنها فتغلبك ، فإنَّه من قَوَّم نفسه حتى تستقيم فبالحرىٌّ أن ينفع نفسه وغيرها ، ومن غلبته نفسه فأنفس الناس أحرى أن تغلبه ، وكيف لا يضعف عن أنفس الناس وقد ضعف عن نفسه ؟ ! وكيف يُؤْمَنُ على كل شئ من الأنفس وهو متهم على نفسه ؟ ! وكيف يهتدى بمن قد أضل نفسه ؟ وكيف يرجا من قد حرم حظ نفسه ؟ .

يا بنى : (اعمل) بالحكمة واستعن بما فيها ، فإن وافقك الهوى أو خالفك فاصبر نفسك للحق ، وكن من أهل الحكم . فإن الحكيم يُذِلُّ نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق ، وإن الأحمق يخيِّر نفسه فى الأخلاق فما أحبت منها أحب وما كرهت كره) (١) .

= تستقم لسائقها ، وإذا ونى سائقها لم تستقم لقائدها ، فلا يصلح هذا إلا مع هذا حتى يقوم على خير الإيمان بالله مع العمل الله ، والعمل الله مع الإيمان بالله ــ وانظر الحِلْية (٣ / ٣٥٤) وصفة الصفوة (٢ / ٢١٤) .

(١) إسناده واهى جداً : أبو مقاتل حفص بن سلم السمرقندى فيه مقال شديد ، قال الترمذى فى العلل الصغير : حدثنا موسى بن حزام : سمعت صالح بن عبد الله قال : كنا عند أبى مقاتل السمرقندى فجعل يروى عن عون بن أبى شدّاد الأحاديث الطوال التى كانت تروى وصية لقمان وقتل سعيد بن جبير وما أشبه ذلك فقال له ابن أخيه : يا عم لا تقل حدثنا عون فإنك لم تسمع هذه الأشياء . فقال : بلى وهو كلام حسن . (اللسان ٢ / ٣٢٢) .

ورواه ابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ٤١) من طريق المصنف به ، ولفظه : يا بنى إن الإيمان قائد ، والعمل=

قال أبو بكر : اعقلوا رحمكم الله عن لقمان الحكيم ما تسمعون ، واعلموا أنه من لم يُحْسِنْ أن يكون طبيباً لنفسه لم يصلح أن يكون طبيباً لنفس غيره ، ومن لم يُحْسِنْ أن يؤدِّب نفسه لم يحسن أن يؤدب نفس غيره ، واعلموا أنه من لم يعرفْ ما الله عز وجل عليه في نفسه مما أمره به ونهاه عنه ولم يأخذ بعلم ذلك ، كيف يصلح أن يؤدب زوجته وولده ، قد أخذ الله عز وجل عليه تعليمهم ما جهلوه .

ما أسوأ حال من توانى عن تأديب نفسه ورياضتها بالعلم !

وما أحسن حال من عنى بتأديب نفسه ، وعلم ما أمره الله عز وجل به وما نهاه عنه ، وصبر على مخالفة نفسه ، واستعان بالله العظيم عليها .

١٥ ـ أخبرنا أبو بكر ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ثنا هارون بن عبد الله ثنا سيَّار بن حاتم ثنا جعفر بن سليمان ثنا حجاج بن الأسود قال : سمعت قتادة يقول : يا بن آدم إن كنت تريد أن لا تأتي الخير إلا على نشاط فإن نفسك إلى السآمة [١] والفتور [٢] والكلل [٣] . أقربَ ولكن المؤمن هو العجاج [٤] والمؤمن هو المتوقِّي [٥] والمؤمن هو المتشدِّد [٦] وإن المؤمنين هم الجادُّون إلى الله عز وجل بالليل والنهار ، واللهِ ما زال المؤمنون يقولون ربَّنا ربَّنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم [٧] .

= سائق ، والنفس حرون ، فإن فتر سائقها ضلت الطريق ، وإن فتر قائدها حرنت ، فإذا اجتمعا استقامت ، إن النفس إذا طمعت طمعت ، وإذا فوضت إليها أساءت ، وإذا حملتها على أمر الله صلحت ، وإذا تركت الأمر إليها فسدت ، فاحذر نفسك ، واتهمها على دينك ، وأنزلْها منزلة من لا حاجة له فيها ولابد منها ، وإن الحكيم يُذِلّ نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق ، وإن الأحمق يخيِّر نفسه في الأخلاق فما أحبت منها أحب وما كرهت منها كره .

(١) سئمت من الشيء أسأم سأماً وسآمه .. إذا مللته . الصحاح (٥ / ١٩٤٧) .

(٢) الفترة : الانكسار والضعف . الصحاح (٢ / ٧٧٧) .

(٣) الكلل : التثاقل عن الأمر ، الكَلُّ : العيال والثقل . الصحاح (٥ / ١٨١١) .

(٤) العج رفع الصوت ، والمعنى هاهنا كثرة الذكر والمداومة عليه .

(٥) التوقي : الحذر وأخذ الوقاية من المكاره والمحارم والشبهات .

(٦) يعنى الصبر على شدة الحق وما يناله في ذلك من أذى ، كما قال ﷺ : (حُفَّت الجنة بالمكاره) .

(٧) الإسناد حسن . حجاج هو ابن أبي زياد ، وثقه أحمد ، وجعفر بن سليمان الضبعي صدوق زاهد له أوهام ، وسيار ابن حاتم العَنَزى صدوق له أوهام ، وهارون ثقة .

ورواه ابن الجوزى من طريق المصنف به ، وفيه (وإن المؤمنين هم العجّاجون) بدل (وإن المؤمنين هم الجادون) والباقي سواء .

ذيـــــل

ما رواه ابن الجوزى في ذم الهوى عن المصنف *

في صفحـة (٣٧) :

١٦ ـ أخبرنـا عبد الله بن عـلى ، ومحمـد بـن ناصـر ، قالا : أنبـأنا على بـن محمد بـن العلاف ، قـال : أنبأنا عـبد الملك بن بـشران ، قال : حدثـنا أبو بكـر الآجري ، قال : حدثنا عبد الله بن محـمد العطشـى ، قال : حدثنا أبـو يحيى الـعاقولى ، قال : حـدثنا الربيع ابن رَوْح . ح .

وأخبرنا ابن ناصر ، قال : أنبأنا المبارك بن عبد الجبار ، قال : أنبأنا أبو عبد الله الصورى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن عُمر ، قال : حدثنا أبو أحمد السعدى ، قال : حدثنايوسف بن يزيد القراطيسى ، قال : حدثنا المعلى بن الوليد قال : حدثنا يوسف بن بقية واللفظ له ، قالا : حدثنا سعد بن سنان ، عن أبى الزاهرية ، جُبْير بن نُفَيْر ، عن ابن البجير ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ، قال : أصاب النبى يوماً جوع شديد ، فوضع حجراً على بطنه ، ثم قال : « ألا رُبَّ نفسٍ طاعمةٍ ناعمة فى الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، ألا رُبَّ مُكرِمٍ لنفسه وهو لها مُهِينٍ ، ألا رُبَّ مُهِينٍ لنفسه وهو لها مكرم ، ألا رب متخوِّضٍ متنعمٍ فيما أفاء الله على رسـوله ما له عند الله من خَلاَقٍ ، ألا وإن عمل الجنة حزنة بربوة ، ألا وإن عمل النار سهلة بسهوة ، ألا رُبَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً » .

وفى صفحة (٤٠) :

١٧ ـ وأخبرنا محمد وعبد الله بن على ، قـالا : أنبأنا ابن العـلاف ، قال : أنبأنا عبـد الملك ابن بشران ، قال : حدثنـا أبو بكر الآجرّى قال : حدثنا بنان بن أحـمد ، قال : حدثنا هارون بن عبد الله ، قال : حدثنـا سفيان بن عييـنة ، عن جعفر بن بَرْقـان ، عن ثابت ابن الحجاج ، قال : قال عُمـر بن الخطاب : (حاسبوا أنفسكم قـبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن تـوزنوا ، فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسـبوا أنفسكم يوم

القيامة . وتزينوا للعرض الأكبر ، يومئذ تُعْرَضون لا تخفى منكم خافية) .

وفى صفحة (٤١) :

١٨ ــ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن على ، قالا : أنبأنا ابن العلاف ، قال : أنبأنا عبد الملك ابن بشران (*) ، قال : حدثنا يحيى بن صاعد ، قال : حدثنا ابن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن قال : إن المؤمن قوَّام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خَفَّ الحساب يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجؤه الشىء يعجبه فيقول : والله إنى لأشتهيك وإنك لمن حاجتى ، ولكنْ والله ما من صلةٍ إليك ، هيهاتَ هيهاتَ ، حِيل بينى وبينك . ويَفْرُطُ منه الشىء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردتُ إلى هذا ، ما لى ولهذا ، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله .

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم . إن المؤمن أسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه وبصره ولسانه وجوارحه .

وفى صفحة (٤٢) :

١٩ ــ وبه قال : حدثنا الآجرِّى ، قال : حدثنا ابن مخَلْد ، قال : حدثنا على بن إبراهيم ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو مقاتل ، قال : حدثنا عَوْن بن أبى شداد ، عن الحسن فى وصية لقمان لابنه : يابنى إن الإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق ، وإن فتر قائدها حرنت ، فإذا اجتمعا استقامت . إن النفس إذا أطمعت طمعت ، وإذا فوضت إليها أساءت ، وإذا حملتها على أمر الله صلحت ، وإذا تركت الأمر إليها فسدت . فاحذر نفسك واتهمها على دينك ، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها . وإن الحكيم يذل نفسه بالمكاره ، حتى تعترف بالحق ، وإن الأحمق يخير نفسه فى الأخلاق ، فما أحبت منها أحب وما كرهت منها كره (*) .

(*) هنا سقط فى المطبوع « الآجرى » فهو شيخ ابن بشران وتلميذ يحيى بن صاعد .

(*) سبق (١٤) مطوَّلاً .

وفى صفحة (٤٣) :

٢٠ ـ وبه قال : حدثنا الآجرِّى ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الحميد ، قال : حدثنا الحسن ابن محمد الزعفرانى ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : حدثنا أبو عبيدة الناجى ، أنه سمع الحسن يقول : حادثوا هذه القلوب ، فإنها سريعة الدثور ، وأقرعوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، وإنكم إن تقاربوها لم تبق لكم من أعمالكم شيئا ، فتصبَّروا وتشددوا ، فإنما هى ليالٍ تُعَدُّ ، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوف ، يوشك أن يُدْعَى أحدكم فيجيب ولايلتفت ، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم . إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته .

وفى صفحة (٤٣) أيضا :

٢١ ـ وبه قال : حدثنا الآجرِّى ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبى داود ، قال : حدثنا شعيب ابن عبد الحميد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أنبأنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ قال : تندم على ما فات وتلوم نفسها . ا . هـ .